الفارس الصغير

كَانَ يَعِيشُ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ بَيْطَارٌ عَجُوزٌ اسْمُهُ سِيمُونُ ، لَهُ زَوْجٌ عَجُوزٌ مِثْلُهُ ، وَكَانَ لَهُمَا كُوخٌ مُتَهَدِّمٌ صَغِيرٌ بِالْقُرْبِ مِنْ مَدِينَةٍ كَبِيرَةٍ . وَكَانَ يَمُرُّ بِسِيمُونَ خَلْقٌ كَثِيرُونَ ، وَلٰكِنَّهُمْ كَانُوا جَمِيعاً مِنَ الْعُمَّالِ الْفُقَرَاءِ الَّذِينَ لاَ يَدْفَعُونَ كَثِيراً فِي نِعَالِ جِيَادِهِمْ ، وَلِذٰلِكَ كَانَ الزَّوْجَانِ الْعَجُوزَانِ فَقِيرَيْنِ جِدًّا ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ سِيمُونَ الْمِسْكِينَ كَانَ يَعْمَلُ كُلَّ يَوْمٍ مِنَ الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ إِلَى الْمَسَاءِ . وَكَانَ إِذَا جَنَّ اللَّيْلُ يَأْوِي هُوَ وَزَوْجُهُ إِلَى كُوخِهِمَا الصَّغِيرِ يَصْطَلِيَانِ بِالنَّارِ .

وَذَاتَ لَيْلَةٍ ، بَيْنَمَا كَانَ سِيمُونُ جَالِساً يُغَالِبُ النُّعَاسَ بِجِوَارِ الْمِدْفَأَةِ إِذْ سَمِعَ طَرْقاً خَفِيفاً عَلَى بَابِ الْكُوخِ وَصَوْتاً يُنَادِيهِ : « افْتَحِ الْبَابَ أَيُّهَا الْبَيْطَارُ الطَّيِّبُ . افْتَحِ الْبَابَ يَا سِيمُونُ . »

فَانْتَفَضَ سِيمُونُ وَصَاحَ : « مَنِ الطَّارِقُ ؟ »

فَقَالَتْ زَوْجُهُ : « لاَ شَيْءَ . لاَ أَظُنُّ إِلاَّ أَنَّ الْفِيرَانَ تَعْبَثُ بِشَيْءٍ فِي الْمَطْبَخِ . اجْلِسْ وَاسْتَرِحْ وَلاَ تُرْعِجْ نَفْسَكَ . »

فَجَلَسَ سِيمُونُ وَلٰكِنَّهُ مَا كَادَ يُغْمِضُ حَتَّى سَمِعَ الطَّرْقَ مِنْ جَدِيدٍ وَالصَّوْتَ يُنَادِيهِ : « افْتَحِ الْبَابَ أَيُّهَا الْبَيْطَارُ الطَّيِّبُ . افْتَحِ الْبَابَ يَا سِيمُونُ . »

فَصَاحَ سِيمُونُ : « هٰذَا غَرِيبٌ جِدًّا . إِنِّي أُقْسِمُ أَنِّي سَمِعْتُ صَوْتاً يُنَادِينِي . »

فَقَالَتْ زَوْجُهُ : « لاَ بُدَّ أَنَّكَ فِي حُلْمٍ يَا عَزِيزِي . مَا أَظُنُّ هٰذَا إِلاَّ صَوْتَ الْهَوَاءِ الْمُنْدَفِعِ مِنْ ثَقْبِ الْمِفْتَاحِ . » غَيْرَ أَنَّ سِيمُونَ لَمْ يَقْنَعْ بِهٰذَا الْقَوْلِ بَلْ قَامَ مُتَثَاقِلاً ، وَذَهَبَ إِلَى النَّافِذَةِ ، وَأَخَذَ يُحَدِّقُ فِي الظَّلاَمِ وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَرَ شَيْئاً ، غَيْرَ أَغْصَانِ الشَّجَرَةِ الْكَبِيرَةِ تَتَأَرْجَحُ فِي خَفِيفٍ شَدِيدٍ . فَعَادَ إِلَى مَقْعَدِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : « إِنَّكِ عَلَى حَقٍّ يَا عَزِيزَتِي . لاَ شَكَّ أَنِّي كُنْتُ فِي حُلْمٍ . »

وَلٰكِنَّهُ مَا كَادَ يُغْمِضُ عَيْنَيْهِ حَتَّى سَمِعَ الطَّرْقَ مِنْ جَدِيدٍ ، وَكَانَ شَدِيداً فِي هٰذِهِ الْمَرَّةِ ، وَسَمِعَ الصَّوْتَ يُنَادِيهِ مَرَّةً ثَالِثَةً : « افْتَحِ الْبَابَ أَيُّهَا الْبَيْطَارُ الطَّيِّبُ ، افْتَحِ الْبَابَ يَا سِيمُونُ لاَ أَسْتَطِيعُ الِانْتِظَارَ أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ . »

فَنَهَضَ سِيمُونُ ، وَقَدْ أَيْقَنَ أَنَّهُ كَانَ عَلَى

صَوَابٍ وَاشْعَلْ مِصْبَاحاً ، وَفَتِّحْ بَابَ الْكُوخِ ، فَإِذَا الطَّارِقُ فَارِسٌ صَغِيرٌ جَمِيلٌ لاَ يَزِيدُ طُولُهُ عَلَى نِصْفِ الْمِتْرِ ، وَقَفَ مُمْسِكاً عِنَانَ جَوَادٍ صَغِيرٍ لَوْنُهُ أَسْوَدُ فَاحِمٌ كَاللَّيْلِ .

قَالَ الْفَارِسُ :

« مَسَاءُ الْخَيْرِ أَيُّهَا الْعَمُّ سِيمُونُ ، لَقَدْ جِئْتُ إِلَيْكَ فِي هٰذِهِ السَّاعَةِ الْمُتَأَخِّرَةِ لِأَطْلُبَ إِلَيْكَ أَنْ تَصْنَعَ نَعْلاً لِجَوَادِي بَدَلَ النَّعْلِ الَّذِي سَقَطَ مِنْهُ ، فَهَلْ تُجِيبُ طَلَبِي ؟ »

فَقَالَ سِيمُونُ ، وَهُوَ يُحَمْلِقُ فِي وَجْهِ الْفَارِسِ :

« وَلٰكِنَّنَا الآنَ بَعْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ وَقَدْ خَمَدَتِ النَّارُ وَبَرَدَ الْحَدِيدُ ، فَهَلاَّ اسْتَرَحْتَ فِي كُوخِي بَقِيَّةَ اللَّيْلِ حَتَّى إِذَا أَتَى الصَّبَاحُ أَجَبْتُ طَلَبَكَ فِي سُرُورٍ وَارْتِيَاحٍ ؟ »

وَلٰكِنَّ الْفَارِسَ الصَّغِيرَ هَزَّ رَأْسَهُ وَقَالَ :

« لاَ أَسْتَطِيعُ الاِنْتِظَارَ ، إِنَّ عَلَيَّ أَنْ أَقْطَعَ عِدَّةَ أَمْيَالٍ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ ، وَفَوْقَ ذٰلِكَ فَإِنَّ لِي أَصْدِقَاءَ يَنْتَظِرُونَنِي هُنَاكَ . »

فَصَاحَ سِيمُونُ : « أَصْدِقَاءُ يَنْتَظِرُونَكَ ؟ أَيْنَ هُمْ ؟ »

أتذكرك كتيرا ياسيمون . . .

فَأَشَارَ الْفَارِسُ إِلَى الشَّجَرَةِ الْكَبِيرَةِ ، وَقَالَ :

« إِنَّهُمْ هُنَاكَ . »

فَقَالَ سِيمُونُ :

« حَسَناً . سَأَفْعَلُ مَا تُرِيدُ . إِنَّهُ لَيَعِزُّ عَلَيَّ جِدّاً أَنْ أَكُونَ سَبَباً فِي أَنْ يُصَابَ جَوَادُكَ الْجَمِيلُ بِالْعَرَجِ . »

وَتَرَكَ سِيمُونُ زَوْجَهُ لِتَذْهَبَ إِلَى فِرَاشِهَا وَخَرَجَ مَعَ الْفَارِسِ الصَّغِيرِ إِلَى الْمَصْنَعِ فَفَتَحَهُ ثُمَّ أَخَذَ يَنْفُخُ بِمِنْفَاخِهِ الْكَبِيرِ فِي بَقَايَا النَّارِ حَتَّى تَوَهَّجَتْ وَتَطَايَرَ شَرَرُهَا ، وَعِنْدَ ذٰلِكَ أَلْقَى مِنْهَا قِطْعَةً مِنَ الْحَدِيدِ وَأَخَذَ يَطْرُقُهَا وَيُصَوِّرُهَا حَتَّى جَعَلَ مِنْهَا نَعْلاً صَغِيراً لِلْجَوَادِ الصَّغِيرِ . »

وَكَانَ الْفَارِسُ فِي أَثْنَاءِ ذٰلِكَ مُمْسِكاً بِعِنَانِ جَوَادِهِ يَرْقُبُ سِيمُونَ بِشَغَفٍ زَائِدٍ حَتَّى إِذَا مَا

انتهى من عمله وبرد الحديد سحب الجواد وأوقفه في ضوء النار . وتأمل سيمون الجواد ثم قال : « ما أجمل جوادك أيها السيد . إني أعترف لك أنني ما رأيت في حياتي جواداً مثله . » فضحك الفارس وقال : « ولن ترى في حياتك مثله . إنهم قليلون جداً أولئك الذين يسعدهم الحظ برؤية أحد هذه الجياد الصغيرة . »

وعند ما أمسك سيمون حافر الجواد دهش كثيراً لجماله ودقة تكوينه ولكنه ظل صامتاً ولم يقل شيئاً حتى انتهى . وعند ذلك قال الفارس : « أشكرك كثيراً يا سيمون . لن أنسى عطفك علي وشفقتك على جوادي . وسيكون جزاؤك على هذا الصنيع أن أهبك الحظ السعيد طول حياتك . »

وسحب الفارس جواده إلى الباب ، ثم قفز على ظهره وصاح : « إلى الأمام سر . »

وهنا أحس سيمون الهواء يندفع اندفاعاً شديداً وأن الشجرة الكبيرة تهتز اهتزازاً عنيفاً ثم أعقب ذلك سكون شامل .

صاح سيمون وهو يمسح عينيه : « يا للعجب ويا للغرابة . من يا ترى يكون هذا الفارس الصغير ! »

وفي الصباح خرج هو وزوجه ليريا آثار الجياد التي كانت تنتظر عند الشجرة . حينما كان هو يصنع النعل للجواد الصغير . فوقع نظره على شيء كاد لغرابته يفقده الصواب . لقد رأى على كل ورقة من أوراق الشجرة الكبيرة آثار أقدام الجياد الصغيرة . وشاع الخبر بين الناس ، وأقبلوا ينظرون إلى الشجرة ويهنئون سيمون على أنه صنع نعلاً لجواد من جياد ملائكة الجان ، ولم يكن ذلك الحظ قد نالَه أحدٌ من قبله .

وهكذا ذاع صيت سيمون في كل مكان وجعل الأشراف والأغنياء من مختلف الجهات يرسلون جيادهم إليه ويجزلون له العطاء حتى أصبح من الموسرين ، وعاش هو وزوجه عيشة سعيدة راضية مرضية .

ولا زالت تلك الشجرة قائمة في مكانها إلى اليوم ، وعلى كل ورقة من أوراقها آثار أقدام الجياد الصغيرة .